الفينومينولوجيا(الظواهرية) phénoménologie

مع أزمة الذاتية ولا عقلانية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين بزع مصطلح ظاهراتية أي فينومينولوجيا والمستعار من هيجل الذي كان أول من عرض له في كتابه الموسوم فينومونولوجا الروح والذي قصد به علم الشعور، حيث الشعور إنما هو شعور بشيء ومن ثم فإنه ما من موضوع الا وهو موضوع لشعور ما ولقد جاءت الفينومينولوجيا للوقوف أمام التيار البراغماتية وغيرها من تيارات شائعة آنذاك.

وعلى يد الفيلسوف الألماني النمساوي المولد ادموند هوسرل (1859-1938) قامت في القرن العشرين هذه الحركة الفلسفية التي تهتم بدراسة الظواهر و إدراكنا الحسي لها من الناحية الذاتية المحضة، وذلك في مقابل دراسه الانطولوجيا او علم الوجود ويسمى هوسرل مجال بحثه هذا " علم الظواهر الخالص " ولقد بين معالم فكرة الفينومينولوجيا بصدد إيضاحه للأصول الفينومينولوجيا عند ديكارت وذلك في كتاب أزمة العلوم الأوروبية والفنومينولوجيا ومن ثم اعتبر جمهرة من مؤرخي الفلسفة أن الاختزال الفينومونولوجي تعديل جذري لمنهج الشك عند ديكارت، ولقد تشعبت الحركة إلى شعب عديدة يصعب إيجاد قاسم مشترك بينها.

وتهدف الفينومينولوجيا بشكل أساسي إلى البحث في الظاهرات ووضعها من خلال التجربة الواعية من دون التنظير حول شرح أسبابها وبغض النظر عن المواقف والافتراضات المسبقة واستبعادها والتي تعتبرها العلوم الطبيعية واضحة بذاتها ويعتمد المنهج الظواهري على " التوقف" بمعنى التوقف عن إصدار الأحكام والرد أو الاختزال الذي يهدف الى المضمون الخالص للتجارب، ويستند إلى مفهوم قصدية الوعي أي توجه الوعي إلى شيء آخر سواه، ولابد من " التوجه إلى الأشياء نفسها " عن طريق الإدراك الحسي المباشر فالفينومينولوجيا ثورة اكتشاف مفهوم الدلالة والمعنى حيث ترى الظاهر phénomène هو المطلق وان الشيء والعالم الخارجي وهذه المنضدة وذلك الجبل، كل ذلك لا وجود له الا بالإضافة إلى الظاهر، فالأشياء أو المواضيع هي التي تتعلق بالتمثل أو بالحادث الظاهر ولا عكس ذلك أنني إذا ارتقيت من معرفة إلى

معرفة ووصلت إلى الحادث الأول الذي هو شرط سائر الحوادث وجدت الشعور،والشعور شرط ضروري لإثبات أشياء خارجية غريبة عن الشعور فهو الذي يطغى عن معنى الأشياء ومن هنا نعلم أن تجارب الشعور تظل هي القاعدة الرئيسية لكل التصورات العلمية الموسومة بالموضوعية يقول هوسرل أن كل ما اعرفه عن العالم، ولو عن طريق العلم، إنما اعرفه بدءا من نظرة او من تجربة بالعالم لولاها لما كانت لرموز العلم أية دلالة أو معنى.

وقد اوضح هوسرل نفسه معنى الفينومينولوجيا في المادة التي تفسر معنى هذا اللفظ في الموسوعة البريطانية طبعة 1927 قال إن هذه الكلمة تشير إلى طريقة جديدة للوصف الفلسفي، وهذه الطريقة تقيم منذ أواخر القرن المنصرم، نظاما قبليا لعلم النفس في وسعه أن يكون الأساس المتين الوحيد لبناء صرح علم نفس اختباري، كما أن هذه الطريقة تقيم ثانيا فلسفة كلية في وسعها لتقديم هذا المنهج أو الأداة وتقيم ثالثا عرضا منهجيا للعلوم كلها وعلى الإجمال أن الفلسفة الفينومينولوجية تتمم الوحي الرئيسي في الفلسفة الأغريقية القديمة وتتمم الفكرة الرئيسية في الفلسفة العقلية والفلسفة الاختبارية، وهي تشمل كذلك فلسفة كانت والمثالية الألمانية وتنتهي إلى حال الاختلاط والفوضى كما هي الحال في يومنا الحاضر، ومن هنا ولدت الحاجة الى اعادة النظر في ذلك كله وفحص تلك التقاليد في ضوء طريقه منهجيه مشخصه، لهذا نشأ علم لا يحده حد, إن الفينومينولوجيا تستلزم ان يقلع الباحثون عن المذاهب الفلسفية المغلقة لينصرف الى عمل مشترك نهائي ينبغي أن يقودهم الى الفلسفة الأخيرة.

تطور الفينومينولوجيا :

وهناك عدة فلاسفة يعلنون اليوم انتسابهم إلى الفينومينولوجيا بنسب متفاوتة الدرجة انه ومن الضروري التفريق بين منهجها .

باعتبار الظاهرية منهجا فانها مجهول يرمي إلى اكتناه الجواهر من خلال الحوادث والوقائع العملية أي اكتناه دلالات فكرية مثالية وهذه تدرك بالحدس مباشرة ، وباعتبارها نسقا تحمل بنحو اخص اسم

" ظاهرتية محضة "

او ظهورية متعالية عندها تسعى لتصليط الضوء على المبدأ الأخير لكل حقيقة وبما انها تنظر الى الامور من زاوية الدلالة فإن هذا المبدأ سيكون ذلك الذي يستمد منه كل شيء معناه "الان المتعالي" "الواقع خارج العالم"

هكذا تبدو موضوعية العالم كانها تفاعلية ذاتية متعالية.

الفينومينولوجيا عند ميرلوبونتي (1908 –1961) الذي حرس انها تقع في مكانة أعلى من الرياضيات والمنطق، بمعنى أنه عن طريق استقصائه البنيات الأساسية للخبرات الخاصة بالتفكير والمعرفة ويساعد في توضيح أسس المعرفة ذاتها، المعرفة بالظواهر الإنسانية ولسوف يعتمد علم النفس بالذات في راي ميرلوبونتي على الفينومينولوجيا من اجل توضيح تصوراته الأساسية مثلما تعتمد الفيزياء على الرياضيات من أجل توضيح أفكارها الرئيسية.

وفي كل هذا قامت الفينومينولوجيا أساسا لتفادي الأخطاء المنهجية التي وقعت فيها العلوم الإنسانية، يتضح هذا في الموقف الفينومينولوجي في علم النفس والاجتماع فلجأوا إليها عزوفا عن أي افتراضات حتمية ورؤية الإنسان واقعا في شراك الانبنية الوراثية والاجتماعية التي تحدد له سلوكه كما في العلم الكلاسيكي أما الفينومينولوجيا ترى الإنسان كائن خلاقا يتمتع بسمة أساسية هي اضفاء المعاني ويتشكل سلوكه في إطار وعيه.